

تفسير البغوي

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا
وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا

قوله - عز وجل - : (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال) الآية . أراد
بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده ، عرضها على السماوات والأرض
والجبال على أنهم إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم ، وهذا قول ابن عباس . وقال ابن
مسعود : الأمانة : أداء الصلوات ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، وصدق
الحديث ، وقضاء الدين ، والعدل في المكيال والميزان ، وأشد من هذا كله الودائع . وقال
مجاهد : الأمانة : الفرائض ، وقضاء الدين . وقال أبو العالية : ما أمروا به ونهوا عنه وقال زيد
بن أسلم : هو الصوم ، والغسل من الجنابة ، وما يخفى من الشرائع . وقال عبد الله بن عمرو
بن العاص : أول ما خلق الله من الإنسان فرجه وقال : هذه أمانة استودعتكها ، فالفرج
أمانة ، والأذن أمانة ، والعين أمانة ، واليد أمانة ، والرجل أمانة ، ولا إيمان لمن لا أمانة
له . وقال بعضهم : هي أمانات الناس والوفاء بالعهود ، فحق على كل مؤمن أن لا يغش

مؤمننا ولا معاهدا في شيء قليل ولا كثير ، وهي رواية الضحاك عن ابن عباس ، فعرض الله هذه الأمانة على أعيان السماوات والأرض والجبال ، هذا قول ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف ، فقال لهم أتحملن هذه الأمانة بما فيها ؟ قلن : وما فيها ؟ قال : إن أحسنن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن ، فقلن : لا يا ربنا ، نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا ، وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة ، وكان العرض عليهن تخييرا لا إلزاما ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها ، والجمادات كلها خاضعة لله - عز وجل - مطيعة ساجدة له كما قال جل ذكره للسماوات والأرض : " اثبتا طوعا أو كرها قالتا أئينا طائعين " (فصلت - 11) ، وقال للحجارة : " وإن منها لما يهبط من خشية الله " (البقرة - 74) ، وقال تعالى : " ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب " (الحج - 18) الآية . وقال بعض أهل العلم : ركب الله - عز وجل - فيهن العقل والفهم حين عرض الأمانة عليهن حتى عقلن الخطاب وأجبن بما أجبن . وقال بعضهم : المراد من العرض على السماوات والأرض هو العرض على أهل السماوات والأرض ،

عرضها على من فيها من الملائكة .وقيل : على أهلها كلها دون أعيانها ، كقوله تعالى : " واسأل القرية " (يوسف - 82) ، أي : أهل القرية . والأول أصح وهو قول العلماء .)
فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) أي : خفن من الأمانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب (وحملها الإنسان) يعني : آدم عليه السلام ، فقال الله لآدم : إني عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها ؟ قال : يا رب وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت ، وإن أسأت عوقبت ، فتحملها آدم ، وقال : بين أذني وعاتقي ، قال الله تعالى : أما إذا تحملت فسأعينك ، اجعل لبصرك حجابا فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجابيه ، واجعل للسانك لحيين غلقا فإذا غشيت فأغلق ، واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك .قال مجاهد : فما كان بين أن تحملها وبين أن خرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر والعصروحكي النقاش بإسناده عن ابن مسعود أنه قال : مثلت الأمانة كصخرة ملقاة ، ودعيت السماوات والأرض والجبال إليها فلم يقربوا منها ، وقالوا : لا نطيق حملها ، وجاء آدم من غير أن يدعى ، وحرك الصخرة ، وقال : لو أمرت بحملها لحملتها ، فقلن له : احملها ، فحملها إلى ركبتيه ثم وضعها ، وقال

والله لو أردت أن أزداد لزدت ، فقلن له : احملها فحملها إلى حقوه ، ثم وضعها ، وقال :

والله لو أردت أن أزداد لزدت ، فقلن له احمل فحملها حتى وضعها على عاتقه ، فأراد أن

يضعها فقال الله : مكانك فإنها في عنقك وعنق ذريتك إلى يوم القيامة . (إنه كان ظلوما

جهولا) قال ابن عباس : ظلوما لنفسه جهولا بأمر الله وما احتمل من الأمانة . وقال

الكلبي : ظلوما حين عصى ربه ، جهولا لا يدري ما العقاب في ترك الأمانة . وقال مقاتل :

ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما تحمل . وذكر الزجاج وغيره من أهل المعاني ، في قوله

وحملها الإنسان قولان ، فقالوا : إن الله ائتمن آدم وأولاده على شيء وائتمن السماوات

والأرض والجبال على شيء ، فالأمانة في حق بني آدم ما ذكرنا في الطاعة والقيام

بالفرائض ، والأمانة في حق السماوات والأرض والجبال هي الخضوع والطاعة لما خلقهن

له . وقيل : قوله : (فأبين أن يحملنها) أي : أدين الأمانة ، يقال : فلان لم يتحمل

الأمانة أي : لم يخن فيها وحملها الإنسان أي : خان فيها ، يقال : فلان حمل الأمانة أي

: أثم فيها بالخيانة . قال الله تعالى : " وليحملن أثقالهم " (العنكبوت - 13) ، إنه كان

ظلوما جهولا . حكى عن الحسن على هذا التأويل : أنه قال وحملها الإنسان يعني الكافر

والمنافق ، حملا الأمانة أي : خانا . وقول السلف ما ذكرنا .